

دور جزيرة صقلية في الصراع بين أوروبا المسيحية والدولة العثمانية في البحر المتوسط خلال القرن 16م The role of Sicily in the Christian-Ottoman conflict in the Mediterranean basin during the 16th century AD

سالم جوامع *¹

¹ جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، salemdjouama1492@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/04/ 06 تاريخ القبول: 2026/06/ 06 تاريخ النشر: 2026/07/ 10

ملخص:

تسعى هذه الدراسة لإبراز الدور الذي لعبته جزيرة صقلية في الصراع القائم بين أوروبا المسيحية والدولة العثمانية في حوض البحر المتوسط خلال القرن 16م، وذلك سواء من الناحية الجيوستراتيجية أو من النواحي العسكرية واللوجستية والاستخباراتية. وبالتالي فإننا سنسلط الضوء على قيمة هذه الجزيرة والأدوار التي اضطلعت بها في غزو البلدان المغاربية والسيطرة على الطرق التجارية في البحر المتوسط وكذلك خلال المواجهات البحرية الكبرى بين الباب العالي والغرب المسيحي بقيادة مملكة إسبانيا وذلك خلال الفترة المذكورة التي تعتبر إحدى أكثر الفترات صراعا وحساسية بين العالمين الإسلامي والمسيحي.

الكلمات الدالة: جزيرة صقلية، الدولة العثمانية، مملكة إسبانيا، أوروبا المسيحية، البلدان المغاربية، البحر المتوسط، القرن 16م.

Abstract:

This study aims to highlight the role played by the Sicily in the conflict between Christian Europe and the Ottoman Empire in the Mediterranean basin during the 16th century, from a geostrategic, military, logistical, and intelligence perspective. We will therefore shed light on the island's significance and the roles it played in the conquest of North Africa and the control of Mediterranean trade routes, as well as during the major naval confrontations between the Sublime Porte and the Christian West, led by the Kingdom of Spain, during this period, which is considered one of the most conflict-ridden and sensitive periods between the Islamic and Christian worlds.

Keywords: Sicily, Ottoman Empire, Kingdom of Spain, Christian Europe, North African countries, Mediterranean Sea, 16th century AD.

المؤلف المرسل: سالم جوامع، الإيميل: salemdjouama1492@gmail.com

1. مقدمة:

شكل البحر الأبيض المتوسط ونقاطه الحيوية من جزر ومضائق إحدى أهم محاور الصراع خلال القرن 16م بين العالم الإسلامي بقيادة الدولة العثمانية وأوروبا المسيحية بقيادة مملكة إسبانيا. فمن قبرص شرقا إلى غاية سواحل شمال المغرب الأقصى غربا تسابق الطرفان للسيطرة على الجزر والمضائق والطرق التجارية في البحر المتوسط، إذ إن السيطرة على هذه النقاط سيمكن حتما من التفوق العسكري والسياسية وحتى الاقتصادي في حوض المتوسط بصفة عامة.

إن جزيرة صقلية هي أكبر جزيرة في البحر المتوسط جغرافيا وديمغرافيا، ويمكن القول بأنها أهم جزيرة في هذا البحر نظرا لاعتبارها همزة وصل بين شرقه وغربه ونقطة التقاء بين شماله الأوروبي المسيحي وجنوبه المغاربي العثماني الإسلامي.

انطلاقا من هذا فإننا نهدف من خلال هذه الدراسة لتسليط الضوء على الدور الجيوسراتيجي والعسكري والاستخباراتي لهذه الجزيرة في خضم الصراع العثماني الإسباني منوهين بأن دور هذه الجزيرة خلال هذا الصراع لم ينل حقه مطلقا من الدراسات التاريخية، إذ إن أغلب الدراسات المتعلقة بهذه الجزيرة وخاصة العربية منها ركزت هاتمامها على تاريخ الجزيرة في الفترة الإسلامية وخاصة إبان العهدين الأغلي والفاطمي مهمشة بذلك دورها خلال العصر الحديث، وخاصة خلال القرن 16م الذي مثل ذروة هذا الصراع.

إن كل ماسبق لا بد وأن يدفعنا لطرح التساؤلات التالية:

كيف ساهمت صقلية في الصراع العثماني الإسباني إبان القرن 16م؟ وهل كان دورها استراتيجيا فقط أم إنه كان لها مشاركات فعالة عسكريا واستخباراتيا؟ وإلى أي حد ساهم دخولها الصراع إلى جانب مملكة إسبانيا في ترجيح كفة هذه الأخيرة؟ وفيما تمثل رد فعل الباب العالي وولاياته المغاربية على هذه الأدوار التي اضطلعت بها الجزيرة ؟

2. نبذة عن جزيرة صقلية:

جزيرة صقلية هي أكبر جزيرة في البحر المتوسط، كانت تسمى قديما "آترينا كريبا" أي جزيرة المثلث وهذا نظرا لشكلها الذي يشبه مثلثا متساوي الأضلاع تقريبا، تقع في جنوب إيطاليا ويفصلها عن شبه الجزيرة الإيطالية مضيق ميسينا، وجنوبا تقع الجزيرة على مسافة يسهل منها العبور بحرا إلى شمال أفريقيا عبر معبر مضيق صقلية. وتبلغ مساحة الجزيرة 25461 كم، وتتميز بطبيعة جبلية تتصف بوجود الجبال البركانية، يسودها مناخ البحر المتوسط الذي يتميز بشتاء معتدل ومطر وصيف حار جاف¹.

ومن الناحية التاريخية كانت صقلية منذ العصور القديمة موطنًا لمستعمرات فينيقية ويونانية قبل أن تصبح لاحقا جزءا من الامبراطورية الرومانية. وفي العصور الوسطى خضعت لحكم الروم البيزنطيين ثم للحكم الإسلامي في القرن التاسع الميلادي بعد فتحها من طرف القائد الأغلي أسد بن الفرات².

تضم جزيرة صقلية العديد من المدن البارزة والتي من أهمها:

- باليرمو (Palermo): عاصمة الجزيرة، تشتهر بمعالمها التاريخية مثل كاتدرائية باليرمو والقصر النورماندي.
- كاتانيا: (Catania): ثاني أكبر المدن في الجزيرة، تقع قرب جبل إتنا البركاني وتتميز بعمارها الباروكية.
- ميسينا: (Messina): وهي مدينة مهمة تقع شمال شرق صقلية، تشتهر بكاتدرائيتها وبمينائها الذي لعب أدورا هاما عسكريا وجيوستراتيجيا .
- سيراكوز (Siracusa): مدينة تاريخية على الساحل الشرقي للجزيرة، تضم آثارا يونانية ورومانية، ولعبت أدورا بارزة في الحياة العسكرية والاقتصادية للجزيرة على مر العصور³.

3. دور جزيرة صقلية في الاحتلال الإسباني لمدينة طرابلس سنة 1510م:

بعدما حققت إسبانيا وحدتها السياسية بعد استيلائها على مملكة غرناطة الأندلسية سنة 1492م وضم أراضيها للمملكة الإسبانية، وجهت الأخيرة أنظارها إلى الضفة الجنوبية لغرب البحر المتوسط، حيث سعت إلى مد نفوذها إلى بلاد المغرب، ولكي تتجنب الصدام مع مملكة البرتغال التي باشرت أيضا حملاتها الإحتلالية أبرمت المملكتان معاهدة تورديسيلاس (Tordesillas) في 7 نوفمبر 1494 تم بموجبها تقسيم مناطق النفوذ بين المملكتين فكان للبرتغال كل ما هو غرب صخرة بادس⁴ من بلاد المغرب فيما كان شرق هذه النقطة لإسبانيا⁵ ومع مطلع ق 16م بادرت هذه الأخيرة في تجهيز حملاتها لإحتلال المناطق التي خولتها لها معاهدة تورديسيلاس من صخرة بادس شمال المغرب الأقصى إلى غاية طرابلس الحفصية شرقا مروراً بالعديد من المدن والموانئ الساحلية في المغرب الأوسط، حيث إنه بعد احتلالها المدن الساحلية الاستراتيجية في المغرب الأوسط ما بين 1505-1510م⁶ سعت إسبانيا لمد نفوذها إلى نقاط أبعد في بلاد المغرب، وذلك بهدف الاستيلاء على المدن والموانئ الهامة في المنطقة، ولعل أهمها مدينة طرابلس.

حول الأسباب الحقيقية وراء الغزو الإسباني لطرابلس سنة 1510م يتساءل المؤرخ "جان كلود زليتنر": لماذا طرابلس، هذا الميناء البعيد؟⁷ ثم يشرح زليتنر نفسه في عرض هذه الأسباب، حيث يذكر أن أولها ذو طبيعة استراتيجية؛ حيث أن الجنوب الإيطالي بما في ذلك صقلية ومالطا كان تابعا لمملكة إسبانيا، وهذه الأقاليم تقع قبالة طرابلس في الضفة الشمالية من البحر المتوسط، وبالتالي فالاستيلاء عليها يعني بسط النفوذ الإسباني على البحر المتوسط وخاصة القسم الغربي منه، أما السبب الثاني حسب "زليتنر" فيعود إلى الازدهار الاقتصادي الذي كانت تعيشه المدينة والذي يقول عنه أنه أذهل الرحالة المعاصرين⁸، وفعلا، فحسب ماجاء عن حسن الوزان الذي زار المدينة في مطلع القرن 16م فإن: "...وهي كذلك قريبة من مالطا ومن صقلية، وكانت سفن البنادقة ترسو بها قديما وتقوم بتجارة كبيرة مع تجار طرابلس ومع الذين يفدون إليها كل سنة من أجل هذه السفن..."⁹.

ولعبت صقلية دورا هاما في هذه الحملة وذلك من خلال تجارها الذين أوعزوا لحاكمهم باحتلال المدينة وأفادوه بأحوالها السياسية والظروف التي تعيشها، إذ يذكر ابن غلبون في كتابه " تاريخ طرابلس الغرب" أن تجار صقلية ومالطا لما رأوا من غنى المدينة وضعف سكانها عسكريا وصفوا ذلك لملك صقلية من أجل حمله على احتلالها، إذ أخبروه كما ذكر ابن غلبون أنها مدينة ثرية أهلها ضعاف غير قادرين على مواجهة أعدائهم¹⁰.

ومنه واعتمادا على ما سبق يمكننا القول بأن الأهمية الاستراتيجية والازدهار الاقتصادي والضعف العسكري هم أبرز العوامل التي دفعت بالإسبان لاحتلال طرابلس.

في سنة 1510م قرر الملك الإسباني فرناندو الخامس الاستيلاء على طرابلس وأعطى تعليماته لنائب الملك بصقلية هوغو دي مونكادي (Hugo di Moncade) -الذي أسندت إليه القيادة العامة لهذه الحملة- الأوامر بالإعداد والتجهيز لها. هذا كما تم الاتصال بالقائد العسكري بيدرو نافارو (Pedro Navarro) بالمشاركة في تجهيز الحملة العسكرية على مدينة طرابلس. ومن بداية التي كانت محتلة من طرف الإسبان والتي كانت مقرا لبيدرو نافارو انطلقت القوات الإسبانية بعد استكمال تجهيزاتها من ميناء بجاية مكونة من ثمانية آلاف رجل واتجهت صوب جزيرة صقلية أين انضمت إليها القوات التي جهزها هوغو دي مونكادي، والتي ضمت إضافة إلى قوات جزيرة صقلية قوات من نابولي والجنوب الإيطالي¹¹.

بعد تجمعه واستكمال استعداداته خرج الأسطول الإسباني من جزيرة صقلية، من ميناء فافينيانا تحديدا، يوم 15 جويلية 1510م، إلا أنه لم يقصد طرابلس مباشرة بل اتجه نحو جزيرة مالطا التي استقر فيها لمدة خمسة أيام قبل أن يستأنف المسير نحو طرابلس يوم 20 جويلية، وقد كان التعداد العام للحملة يتكون من مائة وعشرين سفينة مختلفة الأحجام والأنواع تحمل خمسة عشر ألف جندي إسباني وثلاثة آلاف من الإيطاليين وعددا من البحارة المغامرين¹².

وصل الأسطول الإسباني-الإيطالي إلى قبالة مدينة طرابلس يوم 25 جويلية 1510م. ويبدو أن ما رواه تجار صقلية ومالطا عن الضعف العسكري للمدينة كان صحيحا، إذ سرعان ما استطاعت فرق من القوات الإسبانية أن تستولي على أبراج المدينة مما فتح المجال أمام باقي القوات لدخول المدينة وإعلان السيطرة عليها. ورغم وجود بعض المقاومة من طرف الأهالي إلا أن القوات المسيحية كانت أكثر وأقوى، وبالتالي نجحت في دخول المدينة واحتلالها. وقد خلفت هذه الحملة ستة آلاف قتيل من سكان المدينة وأسر حوالي عشرة آلاف منهم، كما تم إطلاق حوالي مائة وسبعين أسير مسيحي، فيما لم تتجاوز الخسائر الإسبانية سوى ثلاثمائة قتيل¹³.

نستنتج أخيرا أن جزيرة صقلية أدت دورا هاما في احتلال مدينة طرابلس، سواء من خلال تجارها الذين لعبوا دور الجواسيس وأفادوا ملوكهم بأحوالها السياسية والعسكرية، وكذلك من خلال إسناد قيادة الحملة إلى حاكمها (ونائب الملك الإسباني في صقلية) هوغو دي مونكادي الذي عمل على الإعداد للحملة وقيادتها، وأخيرا من خلال الدور الجيوسراتيجي

الذي لعبته إذ كانت صقلية مركز تجمع الحملة الإسبانية-الإيطالية المتجهة نحو طرابلس ومركز قيادتها، ناهيك عن مساهمتها العسكرية بالجند والعتاد.

4. دور جزيرة صقلية في الحملة الإسبانية-الإيطالية على مدينة الجزائر سنة 1519م :

في سنة 1519م، وبعد دخول العثمانيين مدينة الجزائر والسيطرة عليها وإنهاء التبعية التي كانت تفرضها إسبانيا عليها في عهد الملك فرناندو الخامس، وبعد توليه عرش المملكة الإسبانية خلفا لوالده قرر الملك الجديد شارلكان تجهيز حملة عسكرية لاستعادة مدينة الجزائر.

كلف الملك الإسباني نائبه بصقلية هوغو دي مونكادي (Hugo de Moncade) بقيادة هذه الحملة رفقة مساعده غونزالو دي ريبيرا (Gonzalo de Ribera) وكانت قيادة الحملة قد تحالفت مع أبي حمو الثالث ملك تلمسان المعادي للبايلرباي خير الدين بربروس، حيث اتفق مع الإسبان على الانضمام للحملة ضد مدينة الجزائر عن طريق البر بينما يهاجمه الإسبان والإيطاليون بحرا.¹⁴

في جزيرة صقلية تجمعت القوات المسيحية، وانطلقت منها بعدما اكتمل تعدادها وانتهت استعداداتها متجهة نحو الجزائر. لكن، إن كانت معظم الدراسات تتفق في كون الحملة انطلقت من جزيرة صقلية فإنها تختلف في تعدادها وفي تاريخها وفي الموانئ التي رست بها قبل أن تصل قبالة مدينة الجزائر، فهذا المؤرخ الفرنسي دي غرامون (De Grammont) يقول أنها خرجت من صقلية أواخر جويلية 1519م، وأنها كانت مكونة من أربعين سفينة و خمسة آلاف جندي، ونفس المعطيات يذكرها أحمد توفيق المدني¹⁵، هذا الأخير الذي يضيف بأن الحملة توجهت أولا نحو المرسى الكبير ثم إلى بجاية ثم أبحرت إلى مدينة الجزائر ووصلتها يوم 17 أوت 1519¹⁶، في حين لا يذكر دي غرامون أن الحملة توقفت في موانئ أخرى قبل ذلك¹⁷. أما الباحث فكاير عبد القادر فيذكر في كتابه "الصراع الجزائري الإسباني خلال القرن 16م" أن الحملة اتجهت أولا إلى بجاية ثم إلى وهران أين انضمت إليها هنالك قوات إسبانية إضافية¹⁸. وهذا التسلسل ربما أقرب للواقع مما ذكره المدني في أن الحملة اتجت نحو وهران أولا ثم من وهران إلى بجاية ثم اتجهت في الأخير نحو مدينة الجزائر.

من جهة أخرى، جاء عن هايدو (Haedo) أن الحملة خرجت من نابولي وصقلية مع ثلاثين سفينة وثمانين غاليرات، إضافة إلى خمسة آلاف رجل والكثير من المحاربين الإسبان ذوي الخبرة¹⁹، ولا يقدم أي إضافات عن الموانئ التي توقفت بها قبل الوصول إلى مدينة الجزائر. وورد في مذكرات خير الدين بربروس أن مجمل قوات هذه الحملة التي وصلت إلى مدينة الجزائر كانت عشرين ألفا وقد ضمت كذلك حسب المصدر ذاته ملوك نابولي وصقلية وألمانيا وهولندا وبلجيكا²⁰.

زيادة على ذلك، فقد ورد عند حاجي خليفة صاحب "تحفة الكبار في أسفار البحار" أن: "...وجهزوا سبعين قطعة بحرية، وجاءوا إلى وهران بعشرين ألف مقاتل ، كما أن سبعة وثلاثين مقاتلا انضموا إليهم وسار الكل من البحر على الجزائر..."²¹ ورغم أن الأرقام التي قدمها خليفة تبدو مبالغ فيها إلا أنه يؤكد على أن الحملة اتجهت أولا إلى ميناء وهران

ثم أبحرت بعد ذلك إلى مدينة الجزائر، في حين ذهب الباحث التركي يلماز أوزتونا (Yilmaz Oztuna) في كتابه تاريخ الدولة العثمانية أبعد من ذلك، وذكر أن هوغو دي مونكادي الذي جاء من باليرمو إلى وهران ذهب إلى الجزائر بمائة وسبعين سفينة حرب ونقل، تحمل خمسة وعشرين ألف جندي²²، وهما رقمان يبدوان مبالغاً فيهما مقارنة مع الأرقام الأخرى، بل وحتى مع الأرقام التي أوردها حاجي خليفة.

مصدر آخر هو مارمول كربخال يؤكد على أن الحملة اتجهت أولاً إلى وهران، إذ جاء عنه أن دون مارتن (Don Martin) الحاكم الإسباني في وهران لما عاد من حملته على تلمسان وجد هوغو دي مونكادي بميناء المرسى الكبير رفقة القوات الإسبانية وبحراً نحو مدينة الجزائر، وكان حسب وصفه على رأس عدد من الكتائب القوية²³.

من كل هذا يمكننا القول أن حملة نائب الملك بصقلية هوغو دي مونكادي قد خرجت من جزيرة صقلية وتوجهت إلى وهران (أو المرسى الكبير) أين انضمت لها قوات إسبانية إضافية قبل أن تبحر نحو مدينة الجزائر.

وصلت الحملة الإسبانية-الإيطالية إلى مدينة الجزائر يوم 17 أوت 1519 ونزلت في الضفة اليسرى لوادي الحراش شرقي المدينة²⁴، وتذكر دراسات أن عدم الاتفاق بين القائد هوغو دي مونكادي ومساعدته دي ريبيرا (De Rebiera) كان أحد أهم أسباب الخسارة، إذ إن الأخير فضل التريث قبل بدء الهجوم إلى غاية وصول الدعم من أبي حمو ملك تلمسان عن طريق البر، في حين قرر دي مونكادي بدء الهجوم فوراً²⁵.

قرر إذاً نائب الملك بصقلية القائد هوغو دي مونكادي إنزال قسم من قواته والبقاء على قسم آخر على متن السفن بالساحل، وكان دي مونكادي قد بعث بخطاب إلى خير الدين بربروس يطلب منه الاستسلام مذكراً فيه بمصير أخويه عروج وإسحاق، غير أن باليرباي الجزائري رد على قائد الحملة بأنه مستعد للقتال وأن الاستسلام غير وارد²⁶، وقد كانت قوات خير الدين بربروس حسيماً أورده حاجي خليفة سبعمائة جندي عثماني وعشرين ألفاً من الرجال والفرسان المحليين²⁷.

اتجهت القوات التي نزلت إلى البر نحو أعالي مدينة الجزائر من ناحية الشرق إلى غاية كدية الصابون وبنوا هنالك في انتظار وصول الدعم البري من حاكم تلمسان حصناً خلال الستة أيام الأولى، سموه حصن الامبراطور، غير أن عدم وصول قوات ملك تلمسان جعلت قوات خير الدين بربروس يقدم على مهاجمة القسم الإسباني الذي بقي في الساحل قرب نهر الحراش وهو مادفع بالقسم الآخر للدخول في المواجهة. وفي آخر يوم من الحملة هبت عاصفة بحرية عاتية ساهمت في تهجير القوات الإسبانية وفي تحطيم سفنها وإغراق الكثير من الجند والعتاد²⁸. وقد انتهت هذه المعركة كما يذكر هايدو (Haedo) بانتصار قوات إيالة الجزائر ووقوع مجزرة كبيرة في صفوف القوات الإسبانية²⁹.

استمرت المواجهة بين الطرفين لمدة ثلاثة أيام حسبما جاء عن حسن الوزان³⁰، في حين ذكر المدني أنها استمرت لغاية 24 أوت³¹، أي مدة سبعة أيام، وقد انتهت المعركة -حسب الأخير- بمقتل قرابة أربعة آلاف جندي وأسر ثلاثة آلاف آخرين³²، من بينهم "ثلاثة وثلاثون أو ستة وثلاثون من رؤسائهم" حسبما ذكر صاحب الزهرة النائرة³³، ويقصد هنا

كبار ضباطهم ونبلائهم، ويذكر حسن الوزان الذي كان معاصرا لهذه الواقعة أن الإسبان "غلبوا فقتل بعضهم وأسر البعض الآخر ولم ينج منهم إلا القليل..."³⁴، وجاء في بعض الروايات أن خير الدين بربروس رفض عملية افتداء³⁵ للضباط الإسبان والنبلاء وفضل إبقاءهم في الأسر، واضطر لاحقا إلى قتل عدد كبير منهم بعد تمردهم داخل الأسر ومحاولتهم الفرار.³⁶

هكذا إذا أدت جزيرة صقلية دورا استراتيجيا وعسكريا بارزا في الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر، ويمكننا القول أن هذه الجزيرة كانت منطلقا لمعظم الحملات الإسبانية-الإيطالية على الجزائر بشكل خاص، وعلى كامل الإيالات المغاربية بشكل عام كما سنذكر في العنصر الموالي.

5. دور صقلية في الحملة الإسبانية-الإيطالية على طرابلس وجزيرة جربة 1559-1560م:

بعد ثمان سنوات من فتحها وضمها رسميا للحكم العثماني بعدما كانت محتلة من طرف الإسبان ما بين 1510-1551م قرر ملك إسبانيا سنة 1559م تجهيز حملة عسكرية لاستعادة مدينة طرابلس نظرا لمكانتها كميناء وكمدينة هامة في ساحل البحر المتوسط. ويقول روسي بأن فرسان مالطوا ساهموا بشكل كبير في اتخاذ هذا القرار³⁷ على عكس منفروني الذي ذكر في كتابه "إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية" أن التعليمات بتجهيز الحملة على طرابلس صدرت من مدريد وأن دور فرسان مالطا فيها كان ثانويا، رغم أن الكاتب أقر بكون القائد الأعظم لفرسان مالطا قد أشار على الملك فيليب الثاني بضرورة القيام بهذه الحملة³⁸، هذا في الوقت الذي رحبت فيه الإمارات الإيطالية بهذه الحملة وأعلنت استعدادها للمشاركة فيها³⁹.

على أية حال فإنه بداية من 14 جويلية 1559م بدأت التحضيرات الفعلية لهذه الحملة، حيث بعث الملك الإسباني رسالة إلى أندري دوريا يخبره فيها بضرورة الاستعداد وتجهيز حملة لاستعادة طرابلس⁴⁰، ويذكر كرتخال أنه هذا القرار جاء بعد فشل المحاولات الأولى للسيطرة على جربة في صيف 1559 مما دفع ملك إسبانيا لإعطاء الأوامر لنائبه بصقلية بالهجوم على طرابلس⁴¹.

وينوه هنا حاجي خليفة إلى أن الصراع والعداء القائم بين طرغود باشا والزعامات المحلية في الجنوب الشرقي التونسي كان من الدوافع الأخرى التي حركت المملكة الإسبانية وفرسان مالطا للقيام بهذه الحملة⁴².

كلف ملك إسبانيا فيليب الثاني نائبه في صقلية دون دي مدينا تشيلي (Don di Medina Coeli) بقيادة الحملة والإعداد لها، فقام بتجهيز أسطول قوامه حوالي اثنين وثمانين سفينة مختلفة الأنواع والأحجام عين على رأسها القائد الجنوبي جان أندري دوريا (Gian Andrea Doria)، فيما تولى دون ألفارو دي ساندني (Alvaro de Sande) قيادة القوات البرية في هذه الحملة، وقد كان عدد الجنود المشاركين فيها حوالي إثني عشر ألف جندي، من نابولي وصقلية وفلورنسا، إضافة إلى قوات البابا وجنود من ألمانيا وإسبانيا، وكانت هذه القوات قد تجمعت في ميسينا بصقلية في انتظار التوجه نحو

طرابلس⁴³. ويذكر منفروني أن مملكة صقلية لوحدها ساهمت بثمانية شوان (سفن ضخمة)، اثنتان منهما ملك خاص لأحد الصقليين، ويضيف بأن نصف تعداد الجند كان من صقلية ونابولي⁴⁴، مما يبرز المساهمة الهامة والفعالة لصقلية في هذه الحملة.

وتحتفظ الأرشيفات الإسبانية ببعض المراسلات المتبادلة بين الملك فيليب الثاني وقائديه العسكريين أندري دوريا وألفارو دي ساندي والمتعلقة بمسائل التجهيزات والاستعدادات العسكرية لهذه الحملة الهامة، ومن أولى المراسلات المتعلقة بهذه الحملة تلك المؤرخة في 14 جويلية 1559م والتي وجهها فيليب الثاني إلى أندري دوريا بخصوص تجهيز حملة عسكرية على طرابلس⁴⁵، وفي 19 سبتمبر وبعد تعيينه قائدا عاما للحملة راسل ألفارو دي ساندي الملك فيليب الثاني فيما يتعلق بالاستعدادات لهذه الحملة وكانت هذه المراسلة قبل أيام من انطلاقها باتجاه طرابلس⁴⁶، وهناك مراسلة ثالثة كانت ردا من أندي دوريا إلى الملك فيليب الثاني بتاريخ 30 ديسمبر 1559م والتي أرسلت بعد تعثر سير الحملة إلى طرابلس وتوقفها في مالطا بسبب سوء الأحوال الجوية وفي انتظار استكمال ما تبقى من استعدادات⁴⁷.

انطلقت الحملة الإسبانية-الإيطالية على طرابلس من جزيرة صقلية في شهر أكتوبر من سنة 1559م، غير أنها اضطرت بسبب سوء الأحوال الجوية للتوقف في جزيرة مالطا كما تقدم⁴⁸، وفي مالطا اجتمعت كل الوحدات العسكرية، ومن هناك استأنفت الحملة سيرها نحو طرابلس يوم 10 فيفري 1560م، غير أنه وحسب ما أورد كرنخال فإن الرياح أثرت مرة أخرى على مسار الحملة وتسببت في تغيير وجهتها، إذ جاء عنه: "ثم واصل يوم 10 فيفري السير نحو طرابلس غير أن الرياح دفعته لتغيير الوجهة نحو جزيرة جربة"⁴⁹، وقد ذكر إيتوري روسي أنه ومباشرة مع وصول الحملة الإسبانية-الإيطالية قبالة جزيرة جربة بدأ قادتها بالاتصال مع الزعماء الرافضين للحكم العثماني في الجزيرة، وخاصة مشايخ قبيلة المحاميد الذين أعلنوا تأييدهم للحملة الإسبانية-الإيطالية على طرابلس⁵⁰.

ومن قبالة جزيرة جربة أبحرت القوات الإسبانية-الإيطالية باتجاه مدينة طرابلس ونزلت بسواحل منطقة زوارة، التجهيزات العسكرية للمدينة وتحكيماؤها الجيدة جعلت الدون ميدينا يضطر للانسحاب بحكم إدراكه لصعولة المهمة، وفي هذا الصدد يقول ابن غلبون: "...وقصد أسطول النصارى سنة ستة وستين ليفتك البلد فرجع خائبا..."⁵¹.

بعد إدراك صعوبة الاستيلاء على طرابلس فضل قادة الحملة الإسبانية-الإيطالية البحث عن نقطة استراتيجية بديلة، وكانت جزيرة جربة القريبة من طرابلس هي ذاك البديل، حيث إنه في 2 مارس 1560م رست القوات المسيحية قبالة جربة وفي 7 مارس نزلت هذه القوات إلى بر الجزيرة بهدف احتلالها، وبسبب ضعف الاستعدادات العسكرية بما فقد استطاعت القوات المسيحية بعد مناوشات مع بعض الفرق المحلية والعثمانية هناك السيطرة على حصن الجزيرة والاستقرار فيه⁵²، فيما قام جان أندري دوريا بمراسلة الملك فيليب الثاني مبشرا إياه بنجاح الحملة في السيطرة على جزيرة جربة⁵³.

بعد سقوط جربة اتصل طرغود باشا مجددا بالباب العالي موضحا له أن قيمة هذه الجزيرة وأن خسارتها تمثل هزيمة لكافة المسلمين في المنطقة⁵⁴، ومن أجل ذلك لم يتأخر الرد العثماني، حيث خرجت الحملة البحرية العثمانية -التي كانت قد

أعدت منذ أواخر عام 1559م- تحت قيادة القبطان "بياله باشا"، والتي يقول عنها "منفروني" أنه بمجرد سماع خبرها من قبل الجنود المسيحيين حتى بدأت حالات الشغب والهرج تظهر في صفوفهم وذلك بسبب السمعة التي نالها العثمانيون في كونهم لا يقهرون خاصة بعد معركة بروزة.⁵⁵

مع وصول خبر محيي الأسطول العثماني قاصدا دعم طرغود باشا وتحرير جربة راسل ملك إسبانيا قائده جان أندري دوريا وطلب منه التوجه إلى الجنوب الإيطالي للحصول على المزيد من الدعم العسكري، حيث ذكر كريخال أنه "عندما علم الامبراطور بأحوالهم أمر أندري دوريا بالتوجه نحو صقلية وأن ينزل بجربة الجنود والعتاد والمؤونة".⁵⁶ ، ويضيف بأن دوريا أبحر لى جنوة ثم إلى نابولي على رأس إحدى عشر وحدة محملة بالجنود، ثم عرج على صقلية وأضاف إحدى عشر سفينة أخرى محملة بالمؤونة والعتاد الحربي... و غادر باليرمو يوم 1 أفريل، وأنزل بجربة الجنود والمؤونة والعتاد.⁵⁷

في يوم 10 ماي 1560م وصلت القوات العثمانية إلى جزيرة جربة، ولم تنتظر وقتا طويلا حتى دخلت في معركة ضد القوات المسيحية، واستطاع العثمانيون الانتصار خلال مواجهات لم تدم طويلا بين الطرفين، وأمام هذا التفوق العثماني اضطر قسم كبير من القوات المسيحية إلى الانسحاب والهروب من المعارك، فتوجهوا صوب صقلية ومالطا، في الوقت الذي غرقت فيه العديد من القطع البحرية ووقع الكثير منها في أسر القوات العثمانية⁵⁸، ويذكر "منفروني" أن ابن الفيلسوف الشهير يقولو ميكيا فيلي؛ بيترو، قد كتب في تقريره (وكان مفوض دولة توسكانة في تلك الحملة) عن تضعف القوات المسيحية أنه "قد ملأ الخوف كل النفوس... ولم يصدر أي أمر، ولم يفكر أحد في اتباعه، وتحطم كل انضباط"⁵⁹. وتجدد الإشارة إلى أن القائد ألفارو دي ساندي قد بقي محاصرا على رأس إحدى الفرق العسكرية في أحد حصون الجزيرة منتظرا وصول الدعم من صقلية أو من مالطا إلى غاية يوم 29 جويلية حيث تم إلقاء القبض عليه واقتيد إلى الأسر من طرف القوات العثمانية، واضطرت بعد ذلك الحامية المسيحية في جزيرة جربة للاستسلام بعد تأكيد الهزيمة⁶⁰، هذا وقد بعث رئيس بريد نابولي خوان زاباتا (Juan Zapata) برسالة إلى السلطات الإسبانية يوم 23 أوت 1560م أعلمهم فيها باستسلام قوات حصن جربة وأخبرهم فيها كيف تم الاستيلاء عليه من قبل العثمانيين⁶¹.

6. دور جزيرة صقلية خلال معركة ليبانتو 1571م وحملة الحلف المقدس على تونس 1573م:

في سنة 1570 استطاع العثمانيون فتح جزيرة قبرص التابعة لإمارة البندقية وتم ضمها نهائيا لسلطة الباب العالي، وقد رأى الأوروبيون في هذه العملية تهديدا صارخا لأمنهم ومصالحهم في شرق البحر المتوسط، بل وتهديدا لأوروبا المسيحية بأكملها، وعلى هذا الأساس راح البابا بيوس الخامس (Pie 5) يطلب من حكومة البندقية يحاول لم شمل أوروبا المسيحية وتأسيس تحالف عسكري أوروبي مشددا على ضرورة تأسيس هذا التحالف إذ إنه لا يمكن لأي دولة أوروبية أن تواجه بمفردها الخطر العثماني، وقد جاء هذا في رسالة البابا بيوس الخامس إلى ملك إسبانيا فيليب الثاني (Philipe 2) في 8

مارس 1570م والذي أكد له فيها بأنه لا توجد في العالم المسيحي أية دولة يمكنها أن تقف بمفردها في وجه الدولة العثمانية، وبناء على ذلك يجب على كافة الدول المسيحية أن تتحد ضد هذا العدو⁶².

انتهت هذه التحركات وهذا الزخم الذي أثاره البابا بتأسيس الحلف المسيحي المقدس يوم 25 مارس 1571م والذي أسندت قيادته للدون خوان النمساوي⁶³ (Don Juan D'Autriche) أخ الملك الإسباني شارل الخامس، ونوه هنا إلى أنه كان من أهداف تأسيس هذا الحلف هو التصدي للدولة العثمانية وإيالاتها في غرب البحر المتوسط⁶⁴.

بعد تأسيس هذا الحلف العسكري الأوروبي ذي الصبغة الدينية ستتوجه قواته في خريف العام ذاته إلى خليج ليبانتو لخوض مواجهة عسكرية بحرية حاسمة ضد الدولة العثمانية.

فيما يتعلق بجزيرة صقلية، فقد كانت هذه الأخيرة، مقرا لقيادة الحلف المقدس ومركزا لتجمع قواته، وتحديدًا في ميناء ميسينا شمال الجزيرة حيث بدأت تجتمع فيها مع حلول شهر سبتمبر 1571م، ويحتفظ الأرشيف الإسباني بتقرير مرسل من الدون خوان النمساوي إلى أخيه الملك فيليب الثاني بتاريخ 17 سبتمبر 1571 يتضمن معطيات حول أماكن تواجد سفن الحلف المسيحي المقدس وحول قياداتها⁶⁵، وذلك قبيل أيام فقط من معركة ليبانتو.

ولم تساهم صقلية في هذه الحملة بكونها مقرا لتجمع قواتها فقط، بل ساهمت باثنتي عشرة سفينة حربية بما فيها من الجنود والعتاد⁶⁶، وقد تشكلت باقي قوات هذا التحالف المتأهبة لخوض معركة ليبانتو من حوالي مئة وأربعة وثلاثين سفينة على متنها ما يقارب خمسين ألفا مقاتل⁶⁷.

في المقابل كانت القوات العثمانية المستعدة لمواجهة الحلف المقدس تتكون من حوالي ثلاثمائة سفينة تحمل خمسا وعشرين ألف مقاتل منهم ألفين وخمسمائة إنكشاري، وقد بدأت تتجمع هي الأخرى منذ أواخر سبتمبر عند خليج ليبانتو⁶⁸.

على أية حال انتهت المواجهة بخسارة العثمانيين معركة ليبانتو، وخسروا فيها مائة وثلاثين سفينة غنمها المسيحيون، كما أحرقت وأغرقت أربع وتسعون أخريات، إضافة إلى ثلاثمائة مدفع، كما قتل في هذه المعركة حوالي ثلاثين ألفا من جنود المسلمين فيما سيق إلى الأسر ما يقارب الأربعة آلاف، هذا واستطاع المسيحيون تحرير ما يقارب ألفين أسير نصراني، أما من الطرف الأوروبي فقد قتل حوالي ثمانية آلاف رجل وأصيب عشرة آلاف آخرون⁶⁹.

عقب انتصارها في معركة ليبانتو عادت قوات الحلف المقدس إلى جزيرة صقلية لتجتمع هناك مرة أخرى في انتظار القيام بعملية عسكرية أخرى في غرب البحر المتوسط، وستكون جزيرة صقلية مركزا ومنطلقا لهذه العملية.

في أواخر ربيع العام 1572م قرر قادة الحلف المقدس بمعية ملك إسبانيا فيليب الثاني تجهيز حملة جديدة على الدولة العثمانية وولاياتها في حوض البحر المتوسط، وكانت تونس هي الهدف المباشر لهذه الحملة.

وقبل الحديث عن هذه الحملة تجدر الإشارة إلى أن كامل البلاد التونسية كانت قد خضعت للسلطة العثمانية بما فيها مدينة تونس عاصمة البلاد التي أخضعها علج علي بايلر باي الجزائر مع حلول سنة 1570م باستثناء قاعدة حلق الوادي البحرية التي بقيت تحت السيطرة الإسبانية.

وهنا تدخل جزيرة صقلية مرة أخرى في الحسابات الجيوستراتيجية للمملكة الإسبانية، إذ إن الإبقاء على تونس تحت السلطة الإسبانية إضافة إلى القاعدة البحرية في حلق الوادي سيضمن للمملكة الإسبانية التحكم في مضيق صقلية والطرق البحرية الرابطة بين شرق وغرب البحر المتوسط، وكذا مراقبة التحركات العثمانية في جزر وسواحل اليونان والجنوب الإيطالي، ناهيك عن مراقبة نشاط الإيالات المغاربية في المنطقة.

ومن هذا المنطلق، وأخذاً بهذه الاعتبارات قرر ملك إسبانيا فيليب الثاني بالتنسيق مع قادة الحلف المسيحي المقدس إرسال حملة عسكرية لاستعادة تونس من العثمانيين مستغلاً هزيمة الدولة العثمانية أمام القوات المسيحية في معركة ليبانتو سابقة الذكر.

مرة أخرى، كانت جزيرة صقلية مقراً لتجمع قوات الحلف المقدس، وفي ميناء ميسينا تحديداً تم تجهيز مائة وخمسين سفينة، إضافة حوالي اثنين وعشرين ألف جندي من إيطاليا وإسبانيا والإمارات الإيطالية، وقد كانت المساهمة الأكبر من قبل الإمارات الإيطالية وخاصة إمارات الجنوب الإيطالي بحوالي ثلاثة عشر ألف جندي⁷⁰.

هذا وجاء في إحدى المراسلات العثمانية إلى علج علي حاكم الجزائر في جوان 1572م ما يؤكد احتضان ميناء ميسينا في جزيرة صقلية لهذا التجمع العسكري المسيحي، إذ ورد فيها: "...وأن الرئيس قارة حسن قد أخذ أسيرين من جزيرة مالطا وعلم منهما بأن أساطيل الكفار تعد عدتها في ميسينا..."⁷¹، كما تؤكد هذه المراسلة اهتمام الباب العالي وعلمه بالتحركات المسيحية في حوض البحر المتوسط، وقد تضمنت المراسلة كذلك طلب الباب العالي من علج علي إعداد السفن التي بحوزته بكامل أسلحتها ومعداتها ولوازمها كي تقوم بالإغارة على سفن الأعداء⁷².

وفي المقابل، يحتفظ الأرشيف الإسباني بمراسلتين أرسلهما جان أندري درويا قائد القوات الإسبانية في الحلف المسيحي المقدس إلى الملك فيليب الثاني، جاء في الأولى، والمؤرخة في 31 جويلية 1572م بإبلاغ أندري درويا الملك الإسباني بكونه قد وصل رفقة قواته إلى ميناء ميسينا⁷³، فيما جاء في المراسلة الثانية المؤرخة في 23 أوت من السنة ذاتها تأكيد من دوريا على وصوله وقواته إلى ميسينا كما بين فيها رأيه للملك الإسباني بخصوص قوات الحلف المقدس ومدى استعداديتها وجاهزيتها للحملة على تونس⁷⁴.

بقيت القوات المسيحية مجتمعة في ميسينا بصقلية تنظم أمورها وتنتظر جاهزية تعدادها واكتمال استعداداتها من صيف 1572 إلى غاية يوم 7 سبتمبر 1573 أين تحركت من صقلية نحو تونس، إذ وصلت إلى قبالة حلق الوادي يوم 10 أكتوبر⁷⁵، ويبدو من خلال المدة التي اسغرتها الحملة أنها توقفت في نقاط معينة انتظاراً لقوات دعم إضافية أو انتظاراً للوقت المناسب للنزول إلى البر، وقد انضمت إلى هذه الحملة تسع وتسعون سفينة إسبانية اجتمعت بها في حلق الوادي⁷⁶.

بعد نزولها إلى قاعدة حلق الوادي أجهت القوات المسيحية قاصدة مدينة تونس التي كانت تحت سيطرة الحامية العثمانية بقيادة رمضان باشا الذي أدرك أنه لا يمكنه المقاومة نظرا للتفاوت الكبير في ميزان القوى بين حاميته والقوات الإسبانية واضطر للانسحاب بقواته نحو القيروان.⁷⁷

أما القوات المسيحية فنجحت في استعادة مدينة تونس وأعادتن تنصيب محمد بن الحسن الحفصي حاكما جديدا على المدينة، ويقول الباجي المسعودي عن هذه الأحداث: "...فدخل أخوه محمد القصبة وجالسه شريكه النصراني وانتهت البلاد واهين الدين وعم الخراب...ورسم الكفار قلعة خارج باب البحر سموها البستيون...ولاقى الناس من جورهم وعتوهم ما لا يوصف..."⁷⁸. ويعزي الباحث التركي أحمد قواش (Ahmet Kavas) سبب انتصار المسيحيين بقيادة الدون خوان إلى التنظيم الجيد ولاستغلالهم الظرف العسكري الهام المتمثل في عدم إمكانية التدخل العسكري للأسطول العثماني المنهزم أمام الحلف المسيحي في معركة ليبانتو.⁷⁹

على أية حال فإن سيطرة الإسبان على تونس وحلق الوادي لم تدم طويلا إذ إن الدولة العثمانية جهزت أسطولا ضخما أسندت قيادته لسنان باشا من أجل تحرير تونس، وقد غادر هذا الأسطول الموانئ العثمانية في شهر ماي 1574م قاصدا تونس، وقد قام في طريقه بقصف العديد من الجزر المتوسطية، ويذكر مصطفى سيلانيكي بأن ميناء ميسينا وجزيرة صقلية قد تعرضا لغارات من الأسطول العثماني المتجه نحو تونس، وقد خلفت الغارات على صقلية الكثير من القتلى وتم أسر العديد من النساء والأطفال.⁸⁰

وصل الأسطول العثماني قبالة حلق الوادي يوم 13 جويلية 1574م،⁸¹ وبعد أربعة أيام شرعت قواته في محاصرة القاعدة الإسبانية في حلق الوادي، وأثناء هذا الحصار أعطى سنان باشا الأوامر لحيدر باشا حاكم القيروان ومصطفى باشا حاكم إيالة طرابلس الغرب بالتوجه بقواتهما برا نحو مدينة تونس لمحاصرتها وتحريرها، وقد انضم إليهما جيش إيالة الجزائر بقيادة عرب أحمد باشا الذي كان على رأس خمسة آلاف مقاتل. وبعد شهر من الحصار تم تحرير حلق الوادي يوم 24 أوت فيما حررت مدينة تونس يوم 13 سبتمبر حيث كانت القوات الإسبانية قد لجأت إلى حصن البستيون وتحصنت فيه بقيادة سيريلوني إلى غاية استسلامها⁸²، وتم الإعلان عن تحرير تونس وحلق الوادي وبالتالي كامل البلاد التونسية من الوجود الإسباني بشكل نهائي.

7. خاتمة:

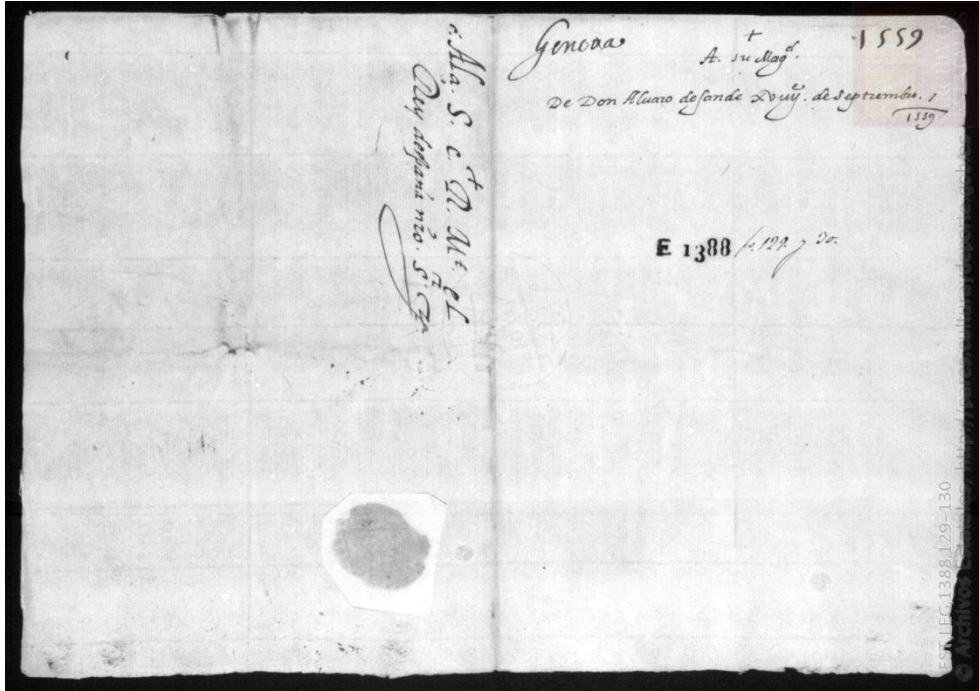
نخلص أخيرا إلى أن جزيرة صقلية لعبت أدورا بالغة الأهمية إبان القرن 16م في خضم المواجهة والحروب القائمة بين الدولة العثمانية وأوروبا المسيحية، حيث إن الجزيرة ساهمت بشكل مباشر وفعال في الحملات الأوروبية المسيحية بقيادة مملكة إسبانيا على المدن والموانئ الساحلية المغاربية، وكذا في المعارك البحرية الكبرى بين الطرفين، كما كان لها إسهامات مؤثرة من حيث الدعم العسكري واللوجستي والاستخباراتي الذي قدمته لمملكة إسبانيا في خضم هذا الصراع.

في المقابل كانن الدولة مدركة لقيمة هذه الجزيرة من النواحي المذكورة (العسكرية واللوجيستية والاستخباراتية) ولهذا فقد كانت القوات العثمانية تشن حملات عسكرية وغزوات خاطقة على صقلية وموانئها الرئيسية، كما قام الباب العالي بنشر جواسيسه في مدن وموانئ الجنوب الإيطالي بهدف الاطلاع على جميع التحركات المسيحية ضد الدولة العثمانية وولاياتها في بلاد المغرب وحوض البحر المتوسط بشكل عام.

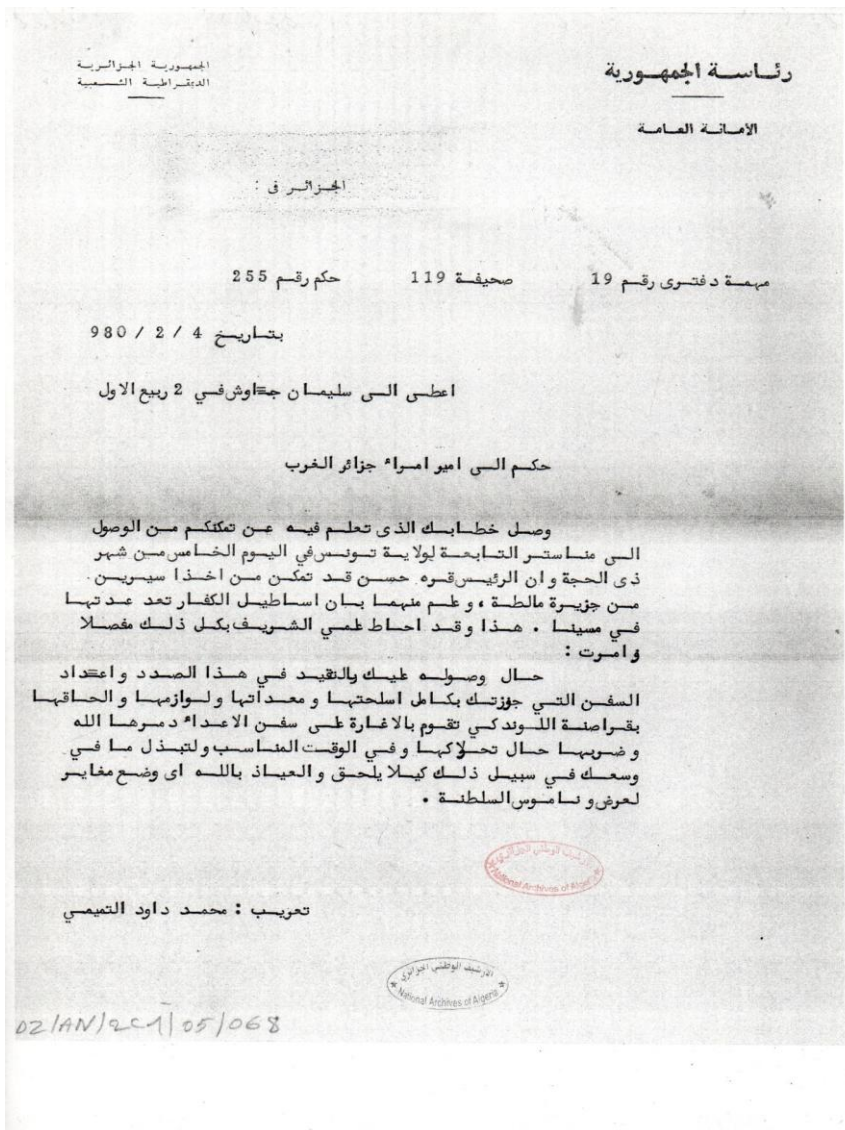
ونجمل القول في أن جزيرة صقلية تمتلك حقا قيمة استراتيجية كبيرة جدا تجعلها لعب دورا بالغ الأهمية في ترجيح كفة الصراع بين القوى المتصارعة في حوض البحر المتوسط، حيث أن من يسيطر على صقلية سيتمكن بشكل كبير من السيطرة على البحر المتوسط بأكمله. وهذا يدفعنا لأن نتساءل كيف للدولة العثمانية ألم تقم بمحاولات وحملات حقيقة لفتح هذه الجزيرة والاستيلاء عليها كما كان الحال مع رودس عام 1520م ومالطا عام 1565م وقبرص عام 1570م؟

8. الملاحق:

ملحق رقم 1: نسخة لرسالة من القائد العام للحملة الإسبانية على طرابلس الغرب ألفارو دي ساندي إلى الملك الإسباني فيليب الثاني بخصوص الاستعدادات للحملة المذكورة، بتاريخ 19 سبتمبر 1559م⁸³. (الصفحة الأولى من الوثيقة).



ملحق رقم 2: نسخة معربة لمراسلة من الباب العالي إلى حاكم الجزائر عرب أحمد تتضمن الإشارة إلى تحضيرات الحلف المسيحي المقدس في ميسينا بصقلية استعدادا للحملة على تونس، بتاريخ 4 صفر 1572/980م⁸⁴.



- ¹ ينظر: عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة وتعليق أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1980، ص 7، المدني أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، مكتبة الاستقامة، تونس، المطبعة العربية، الجزائر، د.ت، ص 9-11
- ² ينظر: المدني، المرجع السابق، ص 20-32، عزيز أحمد، المرجع السابق.
- ³ ينظر: المدني، المرجع نفسه، ص 9-13
- ⁴ باديس: مدينة (ميناء) في المغرب الأقصى على ساحل البحر المتوسط، بعدما احتلتها إسبانيا شيدت في إحدى جزرها المقابلة قلعة تدعى صخرة بادس، ينظر: الوزان حسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ج 1، ص 325
- ⁵ أبرمت هذه الإتفاقية بين إسبانيا والبرتغال حول تقسيم مناطق النفوذ ليس في شمال إفريقيا فقط بل أيضا في آسيا والعالم الجديد، ينظر: نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830، ط 2، دار الأمة، الجزائر، 2007، ج 1، ص 57
- ⁶ حول الاحتلال الإسباني لسواحل المغرب الأوسط مطلع القرن 16م ينظر: فكاير عبد القادر الصراع الجزائري الإسباني خلال القرن السادس عشر، ط 1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، تومي الطاهر، علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع إسبانيا 1520-1792، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018
- ⁷ زليتنرجان كلود، طرابلس ملتقى أوروبا ووسط بلدان إفريقيا، تر، جاد الله عزوز الطلحي، ط 1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، 2001، ص 28
- ⁸ ينظر: المرجع نفسه، ص 28
- ⁹ الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 98
- ¹⁰ ينظر: ابن غلبون محمد بن خليل، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار (تاريخ طرابلس الغرب)، تح، الطاهر الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1934، ص 92، 93
- ¹¹ ينظر: روسي إيتوري، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، تر، محمد التليسي، ط 1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، 1969، ص 18، عبید مصطفى، طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة قسنطينة، الجزائر، ع 18، 2015، ص 324
- ¹² بازامه محمد، ليبيا في عشرين سنة من حكم الإسبان (1510-1530م)، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1965، ص 53، الباروني عمر، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة الماجي، طرابلس، ليبيا، 1952، ص 31
- ¹³ كرنخال، أفريقيا، تحقيق ترجمة محمد حجي، ط 1، دار المعارف، الرباط، المغرب، 1984، ج 3، ص 122، 123، روسي، طرابلس، المرجع السابق، ص 19، زليتنر، المرجع السابق، ص 31

¹⁴ Haedo F.D, Histoire des Rois d'Alger, Tr, H.D. De Grammont, Imprimeur Libraire Éditeur, Alger, 1881, p36, De Grammont H.D, Histoire d'Alger Sous La Domination Turque 1515-1830, Ernest Leroux Editeur, Paris, S.D, p31

¹⁵ De Grammont, Alger sous, op-cit, p31، المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا، دار البعث، قسنطينة، د.ت، ص 205

¹⁶ المرجع نفسه، ص 205

¹⁷ De Grammont, Alger sous, op-cit, p31

¹⁸ فكاير، المرجع السابق، 141

¹⁹ Haedo, op-cit, p36

²⁰ مذكرات خير الدين بربوس، تحقيق محمد دراج، ط2، دار الأصاله، الجزائر، 2013، ص 119

²¹ حاجي خليفة تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وتعريب محمد حرب وتسليم حرب، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 2017، ص 91

²² أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، ط1، مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، تركيا، 1988، ج1، 245

²³ كرميخال، المصدر السابق، ج2، ص 311

²⁴ المدني، حرب الثلاثمائة، المرجع السابق، ص 205

²⁵ ينظر: إلتر، المرجع السابق، 76، De Grammont, op-cit, p31

²⁶ ينظر: مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص 119، ابن رقية محمد التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحقيق خير الدين سعيد، ط1، دار أوراق ثقافية، جيجل، الجزائر، 2017، ص 101

²⁷ خليفة، المصدر السابق، ص 91

²⁸ ينظر: المدني، حرب الثلاثمائة، المرجع السابق، ص 206، فكاير، المرجع السابق، ص 144، 145

²⁹ Haedo, Rois d'Alger, op-cit, p37.

³⁰ الوزان، المصدر السابق، ص 40

³¹ المدني، حرب الثلاثمائة، المرجع السابق، ص 206

³² De Grammont, Alger sous, op-cit, p39

في حين جاء في مذكرات خير الدين أن عدد الأسرى كان يتراوح بين سبعة مئة وثمانمئة أسير، مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص 119

³³ الزهرة النائرة، المصدر السابق، ص 102

³⁴ الوزان، المصدر السابق، ص 40

³⁵ حول الإفشاء و عمليات إفشاء الاسرى في الجزائر خلال العهد العثماني ينظر: خشمون حفيظة، مهام مفتديي الاسرى و التزاماتهم في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، 2008

³⁶ ينظر: مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص 120، فكايير، المرجع السابق، ص 145

³⁷ ينظر: روسي، ليبيا، المرجع السابق، ص 223.

³⁸ منفروني كاميللو، إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، تر، عمر محمد الباروني وصلاح الدين السوري، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988، ص 59

³⁹ روسي إيتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي، ط2، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1991، ص 223، منفروني، المرجع السابق، ص 59

⁴⁰ ينظر: A.G.S, LEST, LEG, 1388, 188

⁴¹ ينظر: كرنجال، ج3، ص 114

⁴² ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 138، وقد جاء عن ابن أبي دينار في هذا أن قبائل جزيرة جربة قد وقفت ضد طرغود باشا خلال هذه الحملة وذكر بأن جربة استعصت عليه بسبب جوره بأهلها، ينظر: ابن أبي دينار محمد، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط.ح، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1865، ص 161

⁴³ روسي، ليبيا، المرجع السابق، ص 223، منفروني، المرجع السابق، ص 59

⁴⁴ المرجع نفسه، ص 59

⁴⁵ A.G.S, EST, LEG 1388.188

⁴⁶ A.G.S, EST, LEG 1388.129-130 (ملحق رقم 01)

⁴⁷ A.G.S, EST, LEG 1388.46

⁴⁸ Kavas Ahmet, Osmanli Devleti 'ni Kuzey Afrika'da Kalicilastiran Sefer : Tunus Savasi 1574, Siyasal bilgiler facyulesi (ISMUS), I/1, 2016, p18

⁴⁹ كرنجال، ج3، ص 114

⁵⁰ روسي، ليبيا، المرجع السابق، ص 223

⁵¹ ابن غلبون، المصدر السابق، ص 98

⁵² روسي، ليبيا، المرجع السابق، ص 224، منفروني، المرجع السابق، ص 60

⁵³ ينظر: A.G.S, EST, LEG, 1389, 53

⁵⁴ Kavas, op-cit, p18

⁵⁵ ينظر: منفروني، المرجع السابق، ص 60

⁵⁶ كرنجال، المصدر السابق، ج3، ص 112

⁵⁷ المصدر نفسه، ج3، ص113

⁵⁸ منفروني، المرجع السابق، ص60

⁵⁹ المرجع نفسه، ص60

⁶⁰ حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 140، روسي، ليبيا، المرجع السابق، ص224

⁶¹ ينظر: A.G.S, LEST, LEG, 1389, 34

⁶² ينظر: أوزتونا، المرجع السابق، ج1، ص371

⁶³ دون خوان النمساوي Don Juan D'Autriche 1547-1578م: هو الإبن غير الشرعي للملك الإسباني شارلكان والأخ

غير الشقيق للملك فيليب الثاني، والدته باربارا بلومبرغ (Barbara Blomberg) من عائلة أرستقراطية ألمانية، قضى على ثورة

الموريسكيين في الأندلس 1568-1569م وانتصر على العثمانيين في معركة ليبانتو عام 1571م، ينظر:

Athenien Chalcondil, Histoire général des Turcs, Tr, Blaise de Vigenaire, Imprimerie et Librairie
A. Pedone Editeur, Ordinaire du Roy, Paris, T1, 1663, p707, Mexange Defontin, Eudj' Ali,
Paris, 1930 , p130

⁶⁴ القدوري عبد المجيد، المغرب وأوروبا مابين القرنين الخامس عشر والثامن عشر مسألة التجاوز، ط2، المرطر الثقافي العربي، الدار

البيضاء، المغرب، 2012، ص168

⁶⁵ A.G.S, EST, LEG, 3631, 64

⁶⁶ حاجي خليفة، المصدر السابق، ص160

⁶⁷ المصدر نفسه، ص160

⁶⁸ فكاير عبد القادر، دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571م، مجلة المواقف للبحوث، p136, 137, Mexange, op-cit,

والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، الجزائر، ع9، 2014، ص418

⁶⁹ حول نتائج المعركة لكلا الطرفين ينظر: المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار

النفائس، بيروت، لبنان، 1981، ص257، p145, Mexange, op-cit,

⁷⁰ De la Primaudaie Ilie, Documents inédits sur l'histoire de l'Occupation espagnol en Afrique
1505-1574, A. Jourdan Libraire Editeur, Alger, 1875.p266

⁷¹ أ.و.ج، مهمة دفترتي 19، حكم 255، 4 صفر 980هـ/1572م (ملحق رقم 02)

⁷² أ.و.ج، مهمة دفترتي 19، حكم 255، 4 صفر 980هـ/1572م

⁷³ A.G.S, EST, LEG, 1402, 91

⁷⁴ A.G.S, EST, LEG, 1402, 93

⁷⁵ تومي الطاهر، المرجع السابق، ص294

⁷⁶ المرجع نفسه، ص294

⁷⁷ ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص167

⁷⁸ الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء أفريقية، تحقيق وتقديم محمد زينهم عزب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2013، ص 207

⁷⁹ Kavas, p21

⁸⁰ سيلانيكي مصطفى أفندي، تاريخ سيلانيكي، ترجمة وتحقيق أحمد حنفي عبد الرحيم، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 2021، ص 223

⁸¹ Mexange, op-cit, p151

⁸² ينظر: De la Primaudie, op-cit, p288-292

⁸³ A.G.S, LEST, LEG, 1388, 129-130

⁸⁴ أ. و. ج، مهمة دفترى 19، حكم 255، 4 صفر 980هـ

10. قائمة المصادر والمراجع:

• الوثائق الأرشيفية:

أ. الأرشيف الوطني الجزائري (رصيد مهمة دفترى):

- أ. و. ج، مهمة دفترى 19، حكم 255، 4 صفر 980هـ

ب. الأرشيف الإسباني (Archivo General de Simancas):

- A.G.S, EST, LEG 1388.46
- A.G.S, EST, LEG 1388.129-130
- A.G.S, LEST, LEG, 1388, 188
- A.G.S, LEST, LEG, 1389, 34
- A.G.S, EST, LEG, 1389, 53
- A.G.S, LEST, LEG, 1389, 166
- A.G.S, EST, LEG, 1402, 91
- A.G.S, EST, LEG, 1402, 93
- A.G.S, EST, LEG, 3631, 64

• المصادر:

- الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء أفريقية، تحقيق وتقديم محمد زينهم عزب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2013

- حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وتعريب محمد حرب وتسليم حرب، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 2017
- ابن أبي دينار محمد، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط.ح، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1865
- ابن رقية محمد التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحقيق خير الدين سعيد، ط1، دار أوراق ثقافية، جيجل، الجزائر، 2017
- سيلانيكي مصطفى أفندي، تاريخ سيلانيكي، ترجمة وتحقيق أحمد حنفي عبد الرحيم، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 2021
- ابن غلبون محمد بن خليل، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار (تاريخ طرابلس الغرب)، تح، الطاهر الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1934
- كرنخال، أفريقيا، تحقيق ترجمة محمد حجي، ط1، دار المعارف، الرباط، المغرب، 1984
- الوزان حسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983
- مذكرات خير الدين بربروس، تحقيق محمد دراج، ط2، دار الأصاله، الجزائر، 2013
- Athenien Chalcondil, Histoire général des Turcs, Tr, Blaise de Vigenaire, Imprimerie et Librairie Ordinaire du Roy, Paris, T1, 1663
- Haedo F.D, Histoire des Rois d'Alger, Tr, H.D. De Grammont, Imprimeur Libraire Éditeur, Alger, 1881

• المراجع:

- أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، ط1، مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، تركيا، 1988
- الباروني عمر، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة الماحي، طرابلس، ليبيا، 1952
- بازامه محمد، ليبيا في عشرين سنة من حكم الإسبان (1510-1530م)، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1965

- روسي إيتوري، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، تر، محمد التليسي، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، 1969
- روسي إيتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي، ط2، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1991
- زليتنجان كلود، طرابلس ملتقى أوروبا ووسط بلدان إفريقيا، تر، جاد الله عزوز الطلحي، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، 2001
- صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة السعودية، 1999
- عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة وتعليق أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1980
- فكاير عبد القادر الصراع الجزائري الإسباني خلال القرن السادس عشر، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016
- القدوري عبد المجيد، المغرب وأوروبا مابين القرنين الخامس عشر والثامن عشر مسألة التجاوز، ط2، المرطرز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012
- الحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981
- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا، دار البعث، قسنطينة، د.ت
- المدني أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، مكتبة الاستقامة، تونس، المطبعة العربية، الجزائر، د.ت.
- منفروي كاميللو، إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، تر، عمر محمد الباروني وصلاح الدين السوري، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988
- نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830 ، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007

- Belhamissi Mouley, Marin et Marins d'Alger 1518-1830, Bibliothèque National d'Algérie, Alger, 1996
- De Grammont H.D, Histoire d'Alger Sous La Domination Turque 1515-1830, Ernest Leroux Editeur, Paris, S.D
- De la Primaudaie Ilie, Documents inédits sur l'histoire de l'Occupation espagnol en Afrique 1505-1574, A. Jourdan Libraire Editeur, Alger, 1875
- Mexange Defontin, Eudj' Ali, A. Pedone Editeur, Paris, 1930

● المقالات:

- عبید مصطفى، طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة قسنطينة، الجزائر، ع18، 2015
- فكاير عبد القادر، دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، الجزائر، ع9، 2014
- Kavas Ahmet, Osmanli Devleti 'ni Kuzey Afrika'da Kalicilastiran Sefer : Tunus Savasi 1574, Siyasal bilgiler facyulesi (ISMUS), I/1, 2016

● الرسائل الجامعية:

- تومي الطاهر، علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع إسبانيا 1520-1792، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018
- خشمون حفيظة، مهام مفتديي الاسرى و التزاماتهم في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، 2008